سورة المُلْك

مكيَّةٌ في قول الجميع. وتُسَمَّى: الواقية والمُنْجِيَة. وهي ثلاثون آية[1] روى الترمذيُّ عن ابن عباس قال: ضَرَب رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ خِباءَه على قبر، وهو لا يحسب أنَّه قبر، فإذا قبرُ إنسانٍ يقرأ سورةَ المُلْك حتى خَتَمَها، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ضربتُ خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنَّه قبر، فإذا قبرُ إنسانٍ يقرأ سورة المُلْك حتى ختمها! فقال رسولُ الله ﷺ: «هي المانعةُ، هي المُنْجِيةُ؛ تُنْجيه من عذاب القبر». قال: حديثٌ حسن غريب[2].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَدِدْتُ أنَّ «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ» في قلب كلِّ مؤمن». ذكره الثعلبي[3].

وعن أبي هريرة قال: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ سورةً من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية، شفعت لرجلٍ حتى أخرجته من النار يوم القيامة، وأدخلته الجنَّة وهي سورة تبارك». خَرَّجه الترمذيُّ بمعناه، وقال فيه: حديث حسن[4].

وقال ابن مسعود: إذا وُضع الميِّت في قبره فيؤتَى من قِبلَ رجليه، فيُقال: ليس

---

(١) الكشاف ٤/ ١٣٣ .

(٢) سنن الترمذي (٢٨٩٠)، وكلامه بتمامه: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي هريرة. اهـ . وفيه يحيى بن عمرو النكري وهو ضعيف. وذكر الحديث الذهبيُّ في ميزان الاعتدال ٤/ ٣٩٩ وعدَّه من مناكير يحيى.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٦١٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٢٧ : وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف. وأخرجه الحاكم في مستدركه ١/ ٥٦٥ من طريق حفص بن عمر المدني وقال: هذا إسناد عند اليمانيين صحيح، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي فقال: حفص واه.

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩١)، وأخرجه أيضاً بمثل لفظ الترمذي: أحمد (٧٩٧٥)، وأبو داود (١٤٠٠)، والنسائي في الكبرى (١١٦١٢)، وابن ماجه (٣٧٨٦). وهو بلفظ المصنف عند الحاكم في مستدركه ٢/ ٤٩ .

لكم عليه سبيل، فإنَّه كان يقومُ بسورة الملك على قدميه. ثم يُؤتَى من قِبل رأسه، فيقول لسانه: ليس لكم عليه سبيل، إنَّه كان يقرأُ بي[١] سورةَ الملك، ثمَّ قال: هي المانعةُ من عذاب القبر[٢]، وهي في التوراة سورةُ الملك؛ من قرأها في ليلةٍ فقد أكثر وأطيب[٣]. ورُوي أنَّ من قرأها كلَّ ليلةٍ لم يضرَّه الفتان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾

﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل؛ من البركة. وقد تقدَّم[٤]. وقال الحسن: تقدَّس. وقيل: دام. فهو الدائمُ الذي لا أوَّل لوجوده، ولا آخر لدوامه.

﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أي: ملكُ السماوات والأرض في الدنيا والآخرة[٥]. وقال ابن عباس: بيده الملك؛ يُعِزُّ من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، ويُحيي ويُميت، ويُغني ويُفقِر، ويُعطي ويمنع[٦]. وقال محمدُ بن إسحاق: له ملك النبوَّة التي أعزَّ بها من اتبعه، وذلَّ بها من خالفه. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إنعامٍ وانتقام[٧].

---

(١) في (ف) في، وليست في (د) و(ظ) و(ف). والمثبت من (خ) و(ز) و(م).

(٢) في النسخ عدا (ظ): عذاب الله.

(٣) في (د) والمستدرك وشعب الإيمان: أطنب. والمثبت من بقية النسخ والمصادر الآتية، وقول ابن مسعود أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦٠٢٥)، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٨٦٥١)، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢/ ٤٩٨ ، وعنه البيهقي في شعب الإيمان (٢٥٠٩). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال: الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٢٨ : وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة. وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) ٩/ ٢٤٤ و ١٥/ ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٤٩ .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣١٩ مختصراً.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٤٩ . وكلام محمد بن إسحاق منه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قيل: المعنى خلقكم للموت والحياة؛ يعني: للموت في الدنيا، والحياة في الآخرة[١].

وقدَّم الموتَ على الحياة؛ لأنَّ الموتَ إلى القهر أقرب؛ كما قدَّم البناتِ على البنين فقال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ [الشورى: ٤٩].

وقيل: قدَّمه لأنَّه أقدم؛ لأنَّ الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت؛ كالنُّطْفَة والتراب ونحوه[٢].

وقال قتادة: كانَ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله تعالى أذلَّ بني آدم بالموت، وجعلَ الدنيا دارَ حياةٍ ثمَّ دارَ مَوْت، وجعل الآخرةَ دار جزاءٍ ثم دار بقاء»[٣].

وعن أبي الدَّرْدَاء أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لولا ثلاثٌ ما طأطأ ابنُ آدم رأسَه: الفقر، والمرض، والموت، وإنَّه مع ذلك لَوَثَّاب»[٤].

المسألة الثانية: ﴿ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قُدِّمَ الموتُ على الحياة، لأنَّ أقوى الناس داعياً إلى العمل مَن نَصَب موتَه بين عينيه؛ فَقُدِّم لأنَّه فيما يرجع إلى الغرضِ المسوق له الآيةُ أهمّ[٥].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٠ .

(٢) مجمع البيان ٦/٢٩ ، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٥٠ . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٩١ ، والطبري مختصراً ٢٢/ ٦٣٦ و ٢٣/ ١١٨ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٨/ ١٧٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٤٧ : لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وهو مرسل.

(٤) لم نقف عليه عن أبي الدرداء، وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٢٧٧ من قول سفيان بن عيينة.

(٥) الكشاف ٤/ ١٣٤ .

قال العلماء: الموتُ ليسَ بعدمٍ مَحْضٍ، ولا فَناءٍ صِرْف، وإنَّما هو انقطاعُ تعلُّقِ الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولةٌ بينهما، وتبدُّلُ حالٍ، وانتقالٌ من دار إلى دار. والحياةُ عكس ذلك[١]. وحُكي عن ابن عباس والكَلْبِي ومُقاتل: أنَّ الموتَ والحياة جسمان، فجعل الموت في هيئة كبشٍ لا يمرُّ بشيءٍ ولا يجدُ ريحَه إلا مات، وخَلق الحياة على صورة فرسٍ أنثى بلْقاء ـ وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها ـ خطوها[٢] مدُّ البصر، فوقَ الحمار ودون البغل، لا تمرُّ بشيءٍ يجدُ ريحها إلا حَيِيَ، ولا تطأُ على شيء إلا حَيِيَ. وهي التي أخذ السَّامِرِيُّ من أثرها فألقاه على العجل فَحَيِيَ[٣]. حكاه الثعلبيّ والقُشَيري عن ابن عباس[٤]. وحكى المَاوَرْدِي[٥] معناه عن مقاتل والكلبيّ.

قلت: وفي التنزيل ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ثم ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، ثم قال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. فالوسائط ملائِكةٌ مكرَّمون صلوات الله عليهم. وهو سبحانه المميت على الحقيقة، وإنَّما يُمَثَّل الموت بالكبش في الآخرة[٦] ويذبح على الصراط؛ حسب ما ورد به الخبر الصحيح[٧]. وما ذُكِر عن ابن عباس يحتاجُ إلى خبرٍ صحيح يَقطع العذر. والله أعلم.

وعن مقاتل أيضاً: خلق الموت؛ يعني: النُّطْفَة والعَلَقَة والمُضْغَة، وخلق الحياة؛

---

(١) ينظر المفهم ٧/ ١٤٥ .

(٢) في (ق) و(م) خطوتها.

(٣) سلف الخبر ١٤/ ١٢٧ .

(٤) وذكره البغوي ٤/ ٣٦٩ .

(٥) في النكت والعيون ٦/ ٥٠ ، ولفظة: حكى. من (ظ).

(٦) وقعت العبارة في (خ) و(ز) و(ف) و(ق): أما إنه يمثل الموت بالكبش في الآخرة، وفي (ظ): أما إنه جاء بمثل الموت من الآخرة بكبش. والمثبت من (د) و(م).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٤٩).

يعني: خَلَق إنساناً ونَفَخ فيه الروح فصار إنساناً[١].

قلت: وهذا قولٌ حسن؛ يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وتقدَّم الكلام فيه في سورة الكهف[٢].

وقال السُّدِّيّ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أكثركُم للموت ذكراً، وأحسنُ استعداداً، ومنه أشدُّ خوفاً وحذراً[٣].

وقال ابن عمر: تلا النبيُّ ﷺ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ حتى بلغ: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، فقال: «أَوْرَعُ عن محارم الله، وأسرعُ في طاعة الله»[٤].

وقيل: معنى «لِيَبْلُوَكُمْ»: ليعاملَكم معاملةَ المختبر، أي: ليبلُوَ العبدَ بموت من يَعِزُّ عليه؛ ليُبيِّن صبره، وبالحياة؛ ليُبيِّن[٥] شكره. وقيل: خَلَق الله الموتَ للبعث والجزاء، وخَلَق الحياةَ للابتلاء. فاللام في «لِيَبْلُوَكُمْ» تتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت؛ ذكره الزَّجَّاج[٦]. وقال الفَرَّاء والزَّجَّاج أيضاً[٧]: لم تقع البَلْوَى على «أيّ»؛ لأنَّ فيما بين البلوى و«أيّ» إضمارُ فعل؛ كما تقول: بلوتُكم لأنظرَ أيُّكم أطوع. ومثلُه قوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠] أي: سَلْهم، ثمَّ انظرْ أيُّهم. فـ«أيُّكم»[٨] رُفِع بالابتداء، و«أَحْسَنُ» خبره[٩]. والمعنى: ليبلوكم فيعلم أو فينظر

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/٣٨٦، وتفسير الرازي ٣٠/٥٥.

(٢) ١٣/٢٠٨ - ٢٠٩.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٨٨)، وذكره الماوردي في تفسيره ٦/٥٠.

(٤) هو حديث ضعيف وسلف ١١/٧٦.

(٥) في (ظ): ليتبين. في الموضعين.

(٦) في معاني القرآن ٥/١٩٧.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/١٦٩، ومعاني القرآن للزجاج ٥/١٩٧.

(٨) في (خ) و(ظ) و(ف) و(ق): فأيهم، وسقطت اللفظة من (د)، والمثبت من (م).

(٩) تفسير البغوي ٤/٣٦٩ وكلام الفراء السالف منه.

أيُّكم[١] أحسنُ عملاً.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه. ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب إليه[٢].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي: بعضُها فوق بعض. والملتزقُ منها أطرافها؛ كذا رُوي عن ابن عباس. و«طِبَاقاً» نعتٌ لـ «سَبْع»؛ فهو وصفٌ بالمصدر. وقيل: مصدرٌ بمعنى المطابقة، أي: خَلَق سبعَ سماواتٍ، وطبَّقها تطبيقاً أو مطابقة. أو على: طُوبقت طِباقاً[٣].

وقال سيبويه: نصب «طباقاً» لأنَّه مفعولٌ ثان.

قلت: فيكون «خَلَقَ» بمعنى جعل وصَيَّر.

وطِباق جمع طَبَق؛ مثل جَمَل وجِمال. وقيل: جمع طبقة. وقال أبَان بن تَغْلِب: سمعتُ بعضَ الأعراب يذمُّ رجلاً فقال: شَرُّهُ طِباق، وخيرُه غير باق[٤].

ويجوز في غير القرآن سبعَ سماوات طباقٍ؛ بالخفض على النعت لسماوات[٥]. ونظيره ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ [يوسف: ٤٣].

﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ قراءةُ حمزةَ والكسائيّ: «مِن تَفَوُّتٍ» بغير ألف مشدَّدة. وهي قراءةُ ابن مسعود وأصحابه[٦]. الباقون: «مِنْ تَفَاوُتٍ» بألف. وهما

---

(١) لفظة: أيكم. من(ظ) وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٧٦ والكلام منه.

(٢) لفظة: إليه. ليست في (د) و(م). والمثبت موافق لتفسير البغوي ٤/ ٣٦٩.

(٣) ينظر الكشاف ٤/ ١٣٤.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٨.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٦٤٤، والتيسير ص٢١٢.

لغتان[١]؛ مثل التعاهد والتعهُّد، والتحمُّل والتحامل، والتظهُّر والتظاهر، وتصاغر وتصغّر وتضاعف وتضعّف، وتباعد وتبعّد؛ كلُّه بمعنًى.

واختار أبو عبيد «من تَفَوُّت»، واحتجَّ بحديث عبد الرحمن بن أبي بكر: «أمِثْلِي يُتَفَوَّتُ عليه في بَنَاتِه»[٢]!

النَّحَّاس[٣]: وهذا أمرٌ مردودٌ على أبي عبيد؛ لأنَّ يُتفوّت: يُفتات بهم. «وتفاوت» في الآية أشبه. كما يقال: تباين يقال: تفاوتَ الأمرُ: إذا تباين وتباعد، أي: فات بعضُها بعضاً. ألَا ترى أنَّ قبلَه قولَه: تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾. والمعنى: ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاجٍ ولا تناقضٍ ولا تباين ـ بل هي[٤] مستقيمةٌ مستويةٌ دالَّة على خالقها ـ وإنْ اختلفت صُوَره وصفاته.

وقيل: المرادُ بذلك السماوات خاصة، أي: ما ترى في خلق السماوات من عَيْب[٥].

وأصله من الفَوْت؛ وهو أنْ يفوتَ شيءٌ شيئاً، فيقع الخلل لقلَّة استوائها[٦]؛ يدلُّ

---

(١) هو قول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٧٠ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٦٨ .

(٢) قطعة من خبر تزويج عائشة رضي الله عنها لحفصة بنت عبد الرحمن من المنذر بن الزبير، وعبد الرحمن غائب بالشام؛ أخرجه مالك ٢/ ٥٥٥ ، وعبد الرزاق (١١٩٤٧)، وسعيد بن منصور (١٦٦٦٢)، وابن أبي شيبة ٤/ ١٣٤ بلفظ يُفتات. بدل يتفوت. وهما بمعنى. قال ابن الأثير في النهاية (فوت): يقال تفَوّت فلان على فلان في كذا، وافتات عليه إذا انفرد برأيه دونه في التصرف فيه . اهـ.
غير أن الحديث الذي احتج به أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ٢٢٨ ونقله عنه الرازي في تفسيره ٣٠/ ٥٧ هو حديث عائشة: قالت: تفوت رجل بمال نفسه على أبيه... أخرجه ابن أبي حاتم في العلل ١/ ٤٧٠ ، وابن عدي في الكامل ٢/ ٦١١ .

(٣) لم نقف على كلامه، ولعله في معانيه، وهو بنحوه في إعراب القرآن له ٤/ ٤٦٨، وذكر فيه اختيار أبي عبيد السالف.

(٤) في (ظ): كل شيء من سماء وغيرها. بدل: بل هي.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٧٤ .

عليه قول ابن عباس ﷺ: من تَفَرُّق[١]. وقال أبو عبيدة[٢]: يقال: تفوَّت الشيءُ، أي: فات.

ثم أَمَر بأنْ ينظروا في خلقه، ليعتبروا به، فيتفكروا في قدرته فقال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: أُردُد طَرْفَك إلى السماء. ويقال: قلِّب البصر في السماء. ويقال: اِجْهَدْ بالنظر إلى السماء. والمعنى متقارب. وإنما قال: «فَارْجِعِ» بالفاء، وليس قبلَه فعلٌ مذكور؛ لأنَّه قال: «ما تَرَى».

والمعنى: انظر ثمَّ ارجع البصر؛ هل ترى من فُطور؟ قاله قتادة[٣].

والفُطور: الشّقوق، عن مجاهد والضحاك. وقال قتادة: من خَلَل. السُّدِّيّ: من خُروق. ابن عباس: من وَهْن[٤]. وأصلُه من التّفطُّر والانفطار، وهو الانشقاق. قال الشاعر:

بَنَى لَكُمُ بِلا عَمَدٍ سماءً ... وَزيَّنَها فما فيها فُطورُ[٥]

وقال آخر:

شَقَقْتِ القلبَ ثمَّ ذَرَرْتِ فيه ... هَواكِ فَلِيم فالتَامَ الفُطُورُ

تَغلْغل حيثُ لم يبلغْ شرابٌ ... ولا سَكَرٌ ولم يبلُغْ سرور[٦]

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥١ .

(٢) في (ظ) أبو عبيد.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٥١ ولفظه فيه: معناه فانظر إلى السماء.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٥١ .

(٥) هو في البحر ٨/ ٢٩٨ بلفظ: وسواها. بدل: وزينها.

(٦) البيتان لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كما في مجالس ثعلب ص٢٣٦ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٣٥٤ ، والأغاني ٩/ ١٥١ ، باختلاف يسير وتقديم وتأخير. قال الخطيب التبريزي في شرح الحماسة ٣/ ١٦٧ : فليم يحتمل وجهين: أحدهما ـ وهو الأشبه ـ: أن يريد لئم من الالتئام... والآخر: أن يكون ليم من اللأم، أي: لما عوتب كتم ما به فالتأم فطوره .

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ «كرتينِ» في موضع المصدر؛ لأن معناه رجعتين، أي: مَرَّةً بعد أخرى. وإنَّما أَمَر بالنظر مرتين؛ لأنَّ الإنسان إذا نظر في الشيء مرةً لا يرى عَيْبَه ما لم ينظر إليه مرةً أُخرى. فأخبرَ تعالى أنَّه ـ وإنْ نظر في السماء مرتين ـ لا يرى فيها عيباً، بل يتَحيَّر بالنظر إليها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ أي: خاشعاً صاغراً متباعداً عن أنْ يَرى شيئاً من ذلك.

يقال: خسأتُ الكلبَ، أي: أبعدته وطردته. وخسأ الكلبُ بنفسه؛ يتعدَّى ولا يتعدَّى. وانخسأ الكلبُ أيضاً. وخَسَأ بصرُه خَسْأً وخُسوءاً، أي: سَدِر[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾[2]. وقال ابن عباس: الخاسئ الذي لم ير ما يهوى[3].

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: قد بلغ الغايةَ في الإعياء. فهو فعيل[4] بمعنى فاعل؛ من الحُسور الذي هو الإعياء. ويجوز أنْ يكون مفعولاً من حسره بُعْدُ الشيء[5]، وهو معنى قول ابن عباس. ومنه قولُ الشاعر:

مَن مَدَّ طَرْفاً إلى ما فوقَ غايتِهِ ... ارْتدّ خَسْآنَ منه الطَّرْفُ قد حَسَرا[6]

يقال: قد حَسَر بَصَرُه يَحْسِر حُسوراً، أي: كَلَّ وانقطعَ نظرُه من طول مَدّى، وما أشبه ذلك، فهو حَسيرٌ ومحسورٌ أيضاً[7]. قال:

---

(١) أي: لم يكد يبصر. اللسان (سدر).

(٢) الصحاح (خسأ).

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ٥٨ .

(٤) قوله: فعيل، من (ظ).

(٥) ذكر الاحتمالين الأخيرين الرازي في تفسيره ٣٠/ ٥٩ وعزاهما للواحدي.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٥٢ .

(٧) الصحاح (حسر).

نظرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنًى فعادَ إليَّ الطَّرْفُ وهو حسيرُ[١]

وقال آخر يصف ناقة:

فشَطْرَهَا نَظَرُ العينين محسورُ

نصب «شطرها» على الظرف، أي: نحوَها[٢].

وقال آخر:

والخيلُ شُعْثٌ ما تزال جيادُها حَسْرَى تغادرُ بالطَّريق سِخالَها[٣]

وقيل: إنَّه النادم. ومنه قول الشاعر:

ما أنا اليومَ على شيءٍ خَلَا يا ابنة القين تَوَلَّى بِحَسِرْ[٤]

والمرادُ بـ «كَرَّتَيْنِ» هاهنا التكثير. والدليلُ على ذلك: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ وذلك دليلٌ على كثرة النظر[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ جمع مصباح، وهو السراج. وتُسَمَّى الكواكبُ مصابيحَ لإضاءتها[٦].

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) الصحاح (حسر)، وشطر البيت المذكور هو لقيس بن خويلد الهذلي، وصدره: إن الحسير بها داءٌ مخامرها. وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٢ .

(٣) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص٨١ وفيه: بالخيل شعثاً، بدل: والخيل شعث، و: رُجْعا، بدل: حسرى. وهو برواية المصنف عند الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٥٢ .

(٤) البيت للمَرَّار بن منقذ كما في المفضليات ص٨٢ . وفيه: مضى، بدل: خلا، و: القوم، بدل: القين، وهو برواية المصنف في النكت والعيون ٦/ ٥٢ .

(٥) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١٣٥ ، ومجمع البيان ٢٩/ ٧ .

(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٠ .

﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾ أي: جَعَلنا شُهُبَهَا؛ فحذف المضاف. دليلُه ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات: ١٠]. وعلى هذا فالمصابيحُ لا تزول ولا يُرجم بها. وقيل: إنَّ الضميرَ راجعٌ إلى المصابيح على أنَّ الرجم من أنفُس الكواكب، ولا يسقطُ الكوكب نفسُه، إنَّما ينفصلُ منه شيءٌ يُرْجَم به من غير أنْ ينقص ضوءه ولا صورته؛ قاله أبو عليّ[١] جواباً لمن قال: كيف تكون زينةً وهي رجومٌ لا تبقى؟

قال المهدَوِيّ: وهذا على أنْ يكون الاستراقُ من موضع الكواكب، والتقديرُ الأوّل على أنْ يكون الاستراقُ من الهوى[٢] الذي هو دونَ موضع الكواكب.

القُشَيْري: وأمثلُ من قول أبي عليّ أنْ نقول: هي زينةٌ قبل أنْ يُرجَم بها الشياطين. والرُّجوم: جمعُ رَجْم، وهو مصدرٌ سُمِّيَ به ما يرجم به[٣].

قال قتادة: خَلَق اللَّه تعالى النجومَ لثلاث: زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدَى بها في البرِّ والبحر والأوقات. فمن تأوَّل فيها غيرَ ذلك فقد تكلَّف ما لا علم له به، وتعدَّى وظلم[٤].

وقال محمدُ بن كعب: والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنَّهم يتَّخذونَ الكهانةَ سبيلاً[٥]، ويتَّخذون النُّجومَ عِلَّةً[٦].

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: أعتدنا للشياطين أشدَّ الحريق؛ يقال: سَعَرْتُ النار؛ فهي مسعورةٌ وسعير؛ مثل: مقتولة وقتيل. ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

---

(١) هو الجبائي. وذكر معنى كلامه الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٧. وينظر الكشاف ٤/ ١٣٥.

(٢) كذا في النسخ، ولعلها: الهواء، ويعني به الفراغ.

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٥٩.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٢٣، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٣ (١٦٥٣٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٠٦) مطولاً.

(٥) لفظة: سبيلاً. من (د) و(م) وليست في باقي النسخ والمصادر.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣١ (١٦٠٤٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٧١٠)، وفيهما وفي الدر المنثور ٣/ ٣٥: يتبعون الكهنة.

قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ يعني الكفَّار. ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ أي: صَوْتاً. قال ابن عباس: الشهيق لجهنم عندَ إلقاء الكفَّار فيها؛ تَشْهَق إليهم شهقةَ البغلة للشعير، ثم تَزفِرُ زفرةً لا يبقى أحدٌ إلَّا خاف. وقيل: الشَّهِيقُ من الكفَّار عند إلقائهم في النار[١]؛ قاله عطاء[٢]. والشَّهيق في الصَّدر، والزَّفِير في الحَلْق. وقد مضى في سورة هود[٣]. ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ أي: تَغْلِي، ومنه قولُ حسان[٤]:

تـركـتُـم قِـدْرَكُـم لا شـيءَ فـيـهـا ... وقِـدْرُ الـقـوم حـامـيـةٌ تـفـورُ

قال مجاهد: تفورُ بهم كما يَفور الحَبُّ القليلُ في الماء الكثير[٥]. وقال ابن عباس: تَغْلي بهم غليَ المِرْجَل[٦]؛ وهذا من شدَّة لَهَب النار من شدَّة الغضب؛ كما تقول: فلانٌ يفور غَيْظاً.

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ يعني: تتقطَّع ويَنْفصِلُ بعضُها من بعض؛ قاله سعيد بن جُبَير[٧]. وقال ابنُ عباس والضَّحَّاك وابنُ زيد: تتفرَّق. «مِنَ الْغَيْظِ»: من شدَّة

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٣ .

(٢) وقول عطاء ـ كما ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ٦٣ ـ: سمعوا لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقاً.

(٣) ١١/ ٢١١ - ٢١٢ .

(٤) بل هو من قول جبل بن جوال الثعلبي يخاطب به حسان بن ثابت ﷺ. ينظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٣ ، وديوان حسان ص١١٠ ، وسلف ١١/ ١١٦ .

(٥) ذكره الواحدي ٤/ ٣٢٧، والبغوي ٤/ ٣٧٠ .

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ٦٣ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٥٣ .

الغيظ على أعداء الله تعالى. وقيل: «مِنَ الْغِيظِ»: من الغليان[١]. وأصل «تميّزُ»: تتميز ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾أي: جماعةٌ من الكفار. ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ على جهة التوبيخ والتقريع: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: رسولٌ في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ أنذرنا وخوّفنا .﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ أي: على ألسنتكم .﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ يا معشرَ الرسل ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ اعترفوا بتكذيب الرُّسل. ثمَّ اعترفوا بجهلهم[٢]؛ فقالوا وهم في النَّار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ من النذر ـ يعني الرسل ـ ما جاؤوا به ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عنهم. قال ابن عباس: لو كنَّا نسمعُ الهدى أو نَعقله[٣]، أو: لو كنَّا نَسمع سماعَ من يَعِي ويفكِّر، أو نعقلُ عقْلَ من يُميِّز وينظر[٤]. ودلَّ هذا على أنَّ الكافر لم يُعْطَ من العقل شيئاً. وقد مضى في «الطُّور» بيانه[٥] والحمد لله.

﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يعني ما كنَّا من أهل النَّار. وعن أبي سعيدٍ الخُدريّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لقد نَدِم الفاجرُ يومَ القيامة قالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ فقال الله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾»[٦]. أي: بتكذيبهم الرسل. والذنبُ هاهنا بمعنى الجمع؛ لأنَّ فيه معنى الفعل. يقال: خَرَج عطاءُ النَّاس، أي: أَعْطِيَتَهم[٧].

﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: فبُعْداً لهم من رحمة الله. وقال سعيدُ بن جُبَير وأبو

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٣. وتفسير الطبري ٢٣/ ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) الوجيز للواحدي (بحاشية مراح لبيد) ٢/ ٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٣٧١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٩٩ .

(٥) ١٩/ ٥٣٤ .

(٦) أخرجه الحارث في مسنده (زوائد الهيثمي) (٨٤٠) من طريق داود بن المحبر. قال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٣/ ١٣ : [أحاديث] كتاب العقل لداود بن المحبر أودعها الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وهي موضوعة كلها، لا يثبت منها شيء.

(٧) في (ظ): أعطياتهم، والكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ١٢٦ .

صالح: هو وادٍ في جهنَّم يُقال له: السُّحْق[١]. وقرأ الكسائيُّ وأبو جعفر: «فَسُحُقاً» بضَمِّ الحاء[٢]، ورُوِيَت عن عليّ[٣]. الباقون بإسكانها، وهما لغتان مثل السُّحْتُ والرُّعْبُ. الزَّجَّاج[٤]: وهو منصوبٌ على المصدر، أي: أسحقَهم الله سُحقاً، أي: باعدَهم بُعْداً. قال امرؤُ القيس:

يجولُ بأطراف البلَاد مُغَرِّباً وتَسْحَقُه رِيحُ الصَّبَا كُلَّ مَسْحَقِ[٥]

وقال أبو عليّ[٦]: القياسُ: إسحاقاً، فجاء المصدر على الحذف؛ كما قيل:

وإن أهلِك فذلك كان قَدْري[٧]

أي: تقديري.

وقيل: إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ من قول خزنة جهنَّم لأهلها[٨].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ نظيرُه: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٣ ، وقول سعيد بن جبير أخرجه الطبري ٢٣/ ١٢٦ .

(٢) قراءة الكسائي في السبعة ص٦٤٤ ، والتيسير ص٢١٢ ، وقراءة أبي جعفر ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٢١٧ من رواية ابن جماز عنه.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٠٠ .

(٤) في معاني القرآن ٥/ ١٩٩ .

(٥) ديوان امرئ القيس ص١٧١ ، وفيه: بآفاق. بدل: بأطراف. قال شارحه: وتسحقه: أي تبعده وتذهب به.

(٦) في الحجة ٦/ ٣٠٧ .

(٧) هو عجز بيت صدره: فإن يبرأ فلم أنفث عليه. ذكره صاحب المفضليات ص٧٠ ، ونسبه لرجل من عبد القيس. وذكره أبو علي في الحجة ٢/ ١٢٩ ، وابن الشجري في أماليه ٢/ ١١٠ دون نسبة. وفي المصادر: يهلك. بدل: أهلك.

(٨) الكشاف ٤/ ١٣٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٠ .

[ق:٣٣]. وقد مضى الكلام فيه. أي: يخافون الله، ويخافون عذابَه الذي هو بالغيب، وهو عذابُ يوم القيامة[١]. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦ﴾ اللفظُ لفظ الأمر، والمرادُ به الخبر، يعني: إنْ أخفيتُم كلامَكم في أمر محمدٍ ﷺ، أو جهرتم به؛ فـ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٢] يعني بما في القلوب من الخير والشر.

ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبيّ ﷺ، فيخبرُه جبريلُ عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: أسِرُّوا قولَكم كي لا يسمعَ ربُّ محمد[٣]، فنزلت: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦ﴾، يعني: أسِرُّوا قولَكم في أمر محمدٍ ﷺ، وقيل: في سائر الأقوال. أوِ اجْهَرُوا بِهِ: أعلنوه.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ذاتُ الصدور ما فيها؛ كما يسمَّى ولدُ المرأة وهو جنين: «ذا بطنها».

ثم قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ يعني: ألَا يعلمُ السرَّ من خَلَق السرَّ؟! يقول: أنا خلقتُ السرَّ في القلب، أفلا أكونُ عالماً بما في قلوب العباد؟! وقال أهل المعاني: إنْ شئتَ جعلت «مَن» اسماً للخالق جلَّ وعزَّ؛ ويكون المعنى، ألا يعلم الخالقُ خلقَه. وإنْ شئتَ جعلتَه اسماً للمخلوق، والمعنى: ألَا يعلم اللهُ مَن خلق. ولابدَّ أنْ يكون الخالقُ عالماً بما خلقَه وما يخلقه[٤].

---

(١) ينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٠ .

(٢) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١٣٧ ، ومجمع البيان ٢٩/ ١٣ .

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص٤٧٠ ، والوسيط ٤/ ٣٢٩ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٣٧١ .

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٦٨ .

قال ابن المسيّب: بينما رجلٌ واقفٌ باللَّيل في شجرٍ كثير، وقد عَصَفت الريح، فوقعَ في نفس الرجل: أترى الله يعلم ما يَسقط من هذا الورق؟ فنودي من جانب الغَيْضة بصوتٍ عظيم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: مِن أسماء صفات الذَّات ما هو للعلم:

منها: «العَلِيمُ»، ومعناه: تعميمُ جميع المعلومات.

ومنها: «الخَبِيرُ»، ويختصُّ بأنْ يَعلم ما يكون قبلَ أنْ يكون.

ومنها: «الحَكِيم»، ويختصُّ بأنْ يعلمَ دقائقَ الأوصاف.

ومنها: «الشهيد»، ويختصُّ بأنْ يَعلم الغائبَ والحاضر، ومعناه أنَّه لا[1] يغيبُ عنه شيءٌ.

ومنها: «الحافظ»، ويختصُّ بأنَّه لا ينسى.

ومنها: «المُحْصِي»، ويختصُّ بأنَّه لا تَشْغله الكثرةُ عن العلم؛ مثل ضوء النُّور، واشتدادِ الريح، وتساقطِ الأوراق؛ فيَعلمُ عند ذلك [عدد] أجزاءِ الحركات في كلِّ ورقة. وكيف لا يَعلم وهو الذي يَخلق؟! وقد قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ أي: سهلة تستقرُّون[3] عليها. والذَّلُول: المنقادُ الذي يَذِلُّ لك، والمصدر: الذِّل؛ وهو اللِّينُ والانقياد[4]. أي: لم

(١) في (د): إذ لا. وفي (خ) و(ز) و(ف) و(ق) و(م): أن لا. والمثبت من (ظ) وشعب الإيمان.

(٢) شعب الإيمان ١/ ١٢١ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) في (ظ): يستقر.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٦٨ .

يجعل الأرضَ بحيثُ يمتنع المشيُ فيها بالحزونة والغِلظة[١]. وقيل: أي: ثَبَّتها بالجبال لئلَّا تزولَ بأهلها؛ ولو كانت تتكفَّأُ متمايلةً لما كانت منقادةً لنا. وقيل: أشارَ إلى التمكُّن من الزرع والغرس، وشقِّ العيون والأنهار وحفر الآبار.

﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ هو أمرُ إباحة[٢]، وفيه إظهار الامتنان. وقيل: هو خبرٌ بلفظ الأمر، أي: لكي تمشوا في أطرافِها ونواحيها، وآكامها وجبالها[٣].

وقال ابن عباس وقتادةُ وبُشَير بن كعب[٤]: «في مَنَاكِبِهَا»: في جبالها[٥]. ورُوِيَ أنَّ بُشَير بن كعب كانت له سُرِّيّة فقال لها: إنْ أخْبرتِني ما مناكب الأرض فأنت حرَّة. فقالت: مناكبُها جبالُها. فصارت حرَّة، فأرادَ أنْ يتزوَّجها، فسألَ أبا الدرداء فقال: دَعْ ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُك[٦].

مجاهد: في أطرافها. وعنه أيضاً: في طرقها وفِجاجها[٧]. وقاله السُّدِّيُّ والحسن[٨]. وقال الكَلْبي: في جوانبها. ومَنْكِبَا الرجل: جانباه[٩]. وأصلُ المَنْكِب الجانب، ومنه مَنْكِب الرجل، والريح النكباء، وتَنَكَّب فلانٌ عن فلان[١٠]. يقول:

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٩.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٦٩.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٨.

(٤) هو أبو أيوب الحميري العدوي البصري، العابد، أحد المخضرمين، وثَّقه النسائي وغيره، وكان أحد القراء والزهاد. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥١.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٥٤.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٨، وأخرجه الطبري بنحوه ٢٣/ ١٢٨. وقول أبي الدرداء: «دع ما يريبك إلى ما لايريبك» هو قطعة من حديث مرفوع أخرجه أحمد (١٧٢٣)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي في المجتبى ٨/ ٣٢٧. عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٧) تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٥، وأخرجه الطبري ٢٣/ ١٢٩.

(٨) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٥٤ عن مجاهد والسدي، وذكره عن الحسن البغويُّ ٤/ ٣٧١.

(٩) وهو قول ابن قتيبة في غريب القرآن ص٤٧٥، ونقله عنه أبو الليث في تفسيره ٣/ ٣٨٨، والبغوي ٤/ ٣٧١، والرازي ٣٠/ ٦٩. وقول الكلبي كما ذكره البغوي ٤/ ٣٧١. مناكبها: أطرافها.

(١٠) تفسير البغوي ٤/ ٣٧١.

امشوا حيثُ أردتم فقد جعلتُها لكم ذَلولاً لا تمتنع.

وحَكى قتادة عن أبي الجلد: أنَّ الأرضَ أربعةٌ وعشرون ألف فرسخ؛ فللسودان اثنا عشر ألفاً، وللروم ثمانيةُ آلاف، وللفرس ثلاثةُ آلاف، وللعرب ألف[١].

﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ أي: مما أحلَّه لكم؛ قاله الحسن. وقيل: مما أنبتَه[٢] لكم. ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: المرجع. وقيل: معناه أنَّ الذي خلق السماء لا تفاوتَ فيها، والأرضَ ذَلولاً قادرٌ على أنْ يُنشِركم[٣].

قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾

قال ابن عباس: أمِنتم عذابَ من في السماء إنْ عصيتموه[٤]. وقيل: تقديره أمِنتم[٥] من في السماء قدرتُه وسلطانُه وعرشُه ومملكتُه[٦]. وخصَّ السماء ـ وإنْ عَمَّ مُلْكُه ـ تنبيهاً على أنَّ الإله الذي تنفذُ قدرتُه في السماء، لا من يعظِّمونَه في الأرض. وقيل: هو إشارةٌ إلى الملائكة[٧]. وقيل: إلى جبريل، وهو المَلَكُ المُوَكَّل بالعذاب[٨].

قلت: ويَحتمل أنْ يكون المعنى: أمنتم خالقَ مَن في السماء أنْ يخسفَ بكم الأرض كما خسفَها بقارون.

﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أي: تَذهبُ وتجيء. والمَوْر: الاضطرابُ بالذهاب والمجيء. قال الشاعر:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٤ .

(٢) في (م) أتيته، والمثبت من النسخ الخطية والنكت والعيون ٤/ ٥٥ والكلام منه.

(٣) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٠ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧١ ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٢ .

(٥) في (م) أأمنتم. في الموضعين.

(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٩ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٧٠ .

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٥٥ عن ابن بحر.

(٨) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٩ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٧٠ .

رَمَيْنَ فأقْصَدْنَ القلوبَ ولن ترى دماً مائراً إلَّا جَرَى في الحَيَازِمِ[١]

جمع حَيْزوم، وهو وسطُ الصدر. وإذا خُسِف بإنسانٍ دارت به الأرض، فهُو المَوْر.

وقال المحققون: أمنتم مَن فوق السماء؛ كقوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] أي: فوقَها، لا بالمماسَّة والتحيُّز، لكن بالقهر والتدبير. وقيل: معناه: أمنتم مَنْ على السماء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها[٢]. ومعناه أنَّه مُدبِّرها ومالكُها؛ كما يقال: فلانٌ على العراق والحجاز، أي: واليها وأميرها. والأخبارُ في هذا الباب كثيرةٌ صحيحةٌ منتشرة، مشيرةٌ إلى العلوّ؛ لا يدفعها إلَّا مُلْحِدٌ أو جاهلٌ معاند؛ والمرادُ بها: توقيرُه وتنزيهُه عن السُّفل والتَّحت. ووصفه بالعلوِّ والعظمة، لا بالأماكن والجهات والحدود؛ لأنَّها صفات الأجسام. وإنَّما تُرفع الأيدي بالدعاء إلى السماء؛ لأنَّ السماءَ مَهْبِطُ الوحي، ومَنزِلُ القطر، ومَحِلُّ القُدس، ومعدنُ المُطهَّرين من الملائكة، وإليها تُرفعُ أعمالُ العباد، وفوقها عرشُه وجنَّته؛ كما جعلَ الله الكعبةَ قِبلةً للصَّلاة[٣]، ولأنَّه خَلقَ الأمكنةَ وهو غير محتاجٍ إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان. وهو الآن على ما عليه كان.

وقرأ قُنْبل عن ابن كَثير: «النُّشور وامنتم» بقلبِ الهمزة الأولى واواً وتخفيف الثانية[٤]. وقرأ الكوفيون والبصريون وأهلُ الشام سوى أبي عمرو وهشام بالتحقيق[٥]

---

(١) البيت لأبي حية النمري، وهو في الكامل ١/ ١٠٠، والأمالي ٢/ ٢٨١ قال في رغبة الآمل ١/ ٢٣٢: فأقصدن القلوب: أصبنها؛ من قولهم: قصدت الرجل: إذا طعنته أو رميته فلم تخطئ مقاتله. دماً مائراً: سائلاً، من مار الدم يمور: سال.

(٢) ينظر الأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٣٢٤، والمفهم ٢/ ١٤٤.

(٣) في (م): للدعاء والصلاة.

(٤) يعني في الوصل. السبعة ص٦٤٤، والتيسير ص٢١٢.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): بالتخفيف وهو خطأ.

في الهمزتين، وخفَّف الباقون[١]. وقد تقدَّم جميعُه[٢].

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: حجارةً من السماء كما أرسلَها على قوم لوط وأصحاب الفِيل. وقيل: ريحٌ فيها حجارةٌ وحَصْباء. وقيل: سحابٌ فيه حجارة. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: إنذاري. وقيل: النذيرُ بمعنى المنذر؛ يعني: محمداً ﷺ، أي: فستعلمون صدقَه وعاقبةَ تكذيبكم[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم؛ كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود، وقومِ لوطٍ، وأصحابِ مَدْيَن، وأصحابِ الرَّسِّ، وقومِ فرعون. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري. وقد تقدَّم[٤].

وأثبتَ وَرْش الياء في «نذيري، ونكيري» في الوصل. وأثبتَها يعقوب في الحالين. وحذفَ الباقون اتِّباعاً للمصحف[٥].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أي: كما ذلَّل الأرضَ للآدميّ،

---

(١) غير أن أبا عمرو البصري وقالون يدخلان ألفاً بينهما. ولهشام التسهيل والتحقيق مع الإدخال فيهما، ولورش وجه آخر: الإبدال مع القصر. ينظر السبعة ص٦٤٤، والتيسير ص٢١٢، والنشر ١/ ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٢) ١/ ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٣) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٧٠.

(٤) ١٤/ ٤١٤.

(٥) التيسير ص٢١٣، والنشر ٢/ ٣٨٩.

ذلَّل الهواءَ للطيور. و«صَافَّات» أي: باسطاتٍ أجنحتهنَّ في الجوِّ عند طيرانها؛ لأنَّهنَّ إذا بسطنَها صَفَفْنَ قوادمها[١] صَفّاً. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أي: يضربْنَ بها جُنُوبَهُنَّ.

قال أبو جعفر النحاس: يقال للطائر إذا بسط جناحيه: صافٌّ، وإذا ضَمَّهما فأصابا جَنْبَه: قابضٌ؛ لأنَّه يقبضُهما. قال أبو خِرَاش:

يبادر جُنْحَ الليل فهو مُوَائل[٢] يَحُثّ الجناح بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ[٣]

وقيل: ويقبضنَ أجنحتَهُنَّ بعد بسطها: إذا وقفنَ من الطيران. وهو معطوفٌ على «صَافَّاتٍ» عطفَ المضارع على اسم الفاعل؛ كما عطفَ اسم الفاعل على المضارع في قول الشاعر:

باتَ يُغَشِّيها[٤] بعَضْبٍ باتر يَقْصِدُ في أسْوُقِها وجائِرِ[٥]

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ أي: ما يُمسِكُ الطيرَ في الجوِّ وهي تطير إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ. ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ قال ابن عباس: حزبٌ وَمَنَعةٌ لكم[٦].

---

(١) في (د) و(ز) و(م): قوائمها، وفي (ق) قواه، والمثبت من (خ) والكشاف ٤/ ١٣٨، والكلام منه. وقوادم الطير: مقاديم ريشه، وهي عشرٌ في كل جناح، الواحدة قادمة. الصحاح (قدم).

(٢) موائل: من واءل فلان مواءلة ووئالاً: لجأ وخلص، ووائل الطائر: لاوذ بشيءٍ خوفاً من الصقر. المعجم الوسيط (وأل). ووقع في المصادر الآتية: مهابذ بدل: موائل. قال أبو علي القالي: المهابذ: المجاهد في العدو والسير، ويقال: أهذب وأهبذ؛ إذا اجتهد في الإسراع.

(٣) البيت في ديوان الهذليين ٢/ ١٥٩، والكامل ٢/ ٧١٤، والأمالي ١/ ٢٧١.

(٤) في (م) يعشيها. بالمهملة، وكذا رواية البيت في خزانة الأدب ٥/ ١٤٠. قال البغدادي: يعشيها: أي يطعمها العَشَاء.. قال: ورأيت في أمالي ابن الشجري [٢/ ٤٣٧] في نسخة صحيحة قد صححها أبو اليُمن الكندي، وعليها خطوط العلماء وإجازاتهم: «بات يغشيها» بالغين المعجمة من الغِشاء كالغِطاء، بكسر أولهما وزناً ومعنىً، أي: يشملُها ويَعُمُّها.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٢، والعضب: السيف، ويقصد أي: توسَّط ولم يجاوز الحد، وأسوق: جمع قلة لساق، وهي ما بين الركبة والقدم. خزانة الأدب ٥/ ١٤١ - ١٤٢.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٢.

﴿يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فيدفع عنكم ما أرادَ بكم إنْ عصيتُموه. ولفظُ الجُنْد يُوَحَّد؛ ولهذا قال: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ وهو استفهامُ إنكار، أي: لا جندَ لكم يدفعُ عنكم عذابَ الله ﴿مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: مِنْ سوى الرحمن.

﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ من الشياطين؛ تغرُّهم بأنْ لا عذابَ ولا حساب[1].

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ أي: يعطيكم منافعَ الدنيا. وقيل: المطر من آلهتكم. ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ يعني: الله تعالى رزقَه. ﴿بَل لَّجُّوا۟﴾ أي: تمادَوا وأصروا. ﴿فِى عُتُوٍّ﴾: طغيان ﴿وَنُفُورٍ﴾ عن الحق.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر؛ «مُكِبًّا» أي: مُنَكِّساً رأسَه لا ينظر أمامَه ولا يمينَه ولا شمالَه؛ فهو لا يأمنُ من العثور والانكباب على وجهه؛ كمن يمشي سوِيّاً معتدلاً ناظراً ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله[2]. قال ابن عباس: هذا في الدنيا. ويجوزُ أنْ يريدَ به الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسِفُ[3]؛ فلا يزال يَنْكبُّ على وجهه، وأنَّه ليس كالرجل السوِيِّ الصحيح البصر[4] الماشي في الطريق المهتدي له. وقال قتادة: هو الكافر أكبَّ على معاصي الله في الدنيا، فحشَره الله يومَ القيامة على وجهه. وقال ابن عباس والكَلْبيّ: عَنَى بالذي يمشي مُكِبّاً على وجهه أبا جهل، وبالذي يمشي سَوِيّاً رسولَ الله ﷺ.

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٣٠، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٢ بنحوه.

(٢) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٦/ ٥٦.

(٣) العسف والاعتساف: السير بغير هداية والأخذ على غير طريق. اللسان (عسف)

(٤) في (د) و(ق) و(م): البصير، وفي (ز): البصري، وفي (ظ) الباصر والمثبت من (خ) و(ف) وهو الموافق للكشاف ٤/ ١٣٩. والكلام منه.

وقيل: أبو بكر. وقيل: حمزة[١]. وقيل: عمَّار بن ياسِر؛ قاله عكرمة[٢].

وقيل: هو عامٌّ في الكافر والمؤمن؛ أي: إنَّ الكافرَ لا يدري أعلى حقٍّ هو أم على باطل، أي: أهذا الكافرُ أهدى، أو المسلمُ الذي يمشي سَوِيّاً معتدلاً يُبصرُ الطريقَ وهو ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام؟[٣].

ويقال: أكبَّ الرجلُ على وجهه؛ فيما لا يتعدَّى بالألف. فإذا تعدَّى قيل: كبَّه الله لوجهه؛ بغير ألف[٤].

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ أمر نبيَّه أنْ يُعرِّفَهُم قُبح شركهم مع اعترافهم بأنَّ اللهَ خلقَهم. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ﴾ يعني القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: لا تشكرون هذه النِّعم، ولا تُوحِّدون الله تعالى[٥]. تقول: قلَّما أفعلُ كذا، أي: لا أفعله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلقَكم في الأرض؛ قاله ابن عباس. وقيل: نشرَكُم فيها وفرَّقكُم على ظهرها؛ قاله ابن شجرة[٦]. ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ حتى يجازِيَ كُلًّا بعمله.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٣٩ ، دون قوله: وقيل: أبو بكر.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٥٦ .

(٣) في (خ) و(ز) و(ف): وهو على طريق مستقيم وهو الإسلام.

(٤) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣ .

(٥) ينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٣٠ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٥٦ .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: متى يوم القيامة؟ ومتى هذا العذابُ الذي تَعِدوننا به؟ وهذا استهزاءٌ منهم. وقد تقدَّم[١].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: قُلْ لهم يا محمد: عِلْمُ وقتِ قيام الساعة عند الله؛ فلا يَعْلمه غيره. نظيرُه: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: ١٨٧] الآية.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: مخوِّف ومُعلم لكم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ مصدرٌ بمعنى مُزْدَلفاً، أي: قريباً؛ قاله مجاهد[٢]. الحسن: عِياناً[٣]. وأكثر المفسرين على أنَّ المعنى: فلمَّا رأوه يعني العذاب؛ وهو عذابُ الآخرة. وقال مجاهد: يعني عذابَ بدر[٤]. وقيل: أي: رأوا ما وُعِدوا من الحشر قريباً منهم. ودلَّ عليه ﴿تُحْشَرُونَ﴾. وقال ابن عباس: لما رأوا عملَهم السَّيِّىء قريباً.

﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: فُعِلَ بها السوء. وقال الزجاج[٥]: تُبُيِّن فيها السوء، أي: ساءَهم ذلك العذاب، وظهر على وجوههم سِمَةٌ تدلُّ على كفرهم؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦][٦].

---

(١) ١١/ ٥ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٦ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ١٣٦ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٣٥ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٣ .

(٥) في معاني القرآن ٥/ ٢٠١ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٥٧ .

وقرأ نافعٌ وابن مُحَيْصِن وابنُ عامر والكسائيُّ: «سيئت» بإشمام الضَّمِّ[١]. وكَسَر الباقون بغير إشمامٍ طلباً للخِفَّة. ومن ضمَّ لاحظَ الأصل.

﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ قال الفرّاء[٢]: «تَدَّعُونَ»: تفتعلون من الدعاء. وهو قولُ أكثر العلماء، أي: تَتمنَّون وتسألون. وقال ابنُ عباس: تَكْذِبون؛ وتأويلُه: هذا الذي كنتم مِن أجله تَدَّعون الأباطيل والأحاديث؛ قاله الزجاج[٣].

وقراءةُ العامة: «تدَّعون» بالتشديد، وتأويلُه ما ذكرناه. وقرأ قتادةُ وابنُ أبي إسحاق والضَّحَّاك ويعقوب[٤]: «تَدْعون» مخفَّفةً. قال قتادة: هو قولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]. وقال الضَّحَّاك: هو قولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢][٥].

وقال أبو العباس: «تَدَّعُونَ»: تستعجلون؛ يقال: دعوتُ بكذا: إذا طلبتَه؛ وادَّعيت: افتعلت منه.

النَّحَّاس: «تَدّعُونَ، وتَدْعُون» بمعنىً واحد؛ كما يقال: قَدَر واقتدَر، وعَدَى واعتَدَى؛ إلَّا أنَّ في «افتعل» معنى شيء بعد شيء، و«فَعَل» يقع عل القليل والكثير.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ أي: قل لهم يا محمد ـ يريدُ مشركي مكَّة، وكانوا يَتمنَّوْن موتَ محمدٍ ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ

---

(١) التيسير ص١٢٥ عن نافع وابن عامر والكسائي.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ١٧١ بنحوه.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٠١ . وفيه: والأكاذيب. بدل: والأحاديث.

(٤) قراءة يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٨٩ ، وقراءة قتادة والضحاك في تفسير الطبري ٢٣/ ١٣٧ ، والمحتسب ٢/ ٣٢٥ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٣٧ .

﴿ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] ـ: أرأيتُم إنْ مِتْنَا، أو رُحِمْنَا فأُخِّرت آجالُنا، فمن يجيرُكم من عذاب الله؟ فلا حاجةَ بكم إلى التربُّص بنا، ولا إلى استعجال قيام الساعة.

وأسكنَ الياء في «أهلكني»: ابنُ مُحَيْصِن، والْمُسَيَّبيُّ، وشيبةُ، والأعمشُ، وحمزة[١]. وفتحَها الباقون. وكلُّهم فتحَ الياء في «ومَنْ معيَ» إلَّا أهلَ الكوفة؛ فإنَّهم سكَّنُوها، وفتحَها حَفْص كالجماعة[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ قرأ الكِسَائيُّ بالياء على الخبر؛ ورواه[٣] عن عليّ. الباقون بالتاء على الخطاب[٤]، وهو تهديدٌ لهم. ويقال: لم أخَّر مفعول «آمَنَّا»، وقدَّم مفعول «تَوَكَّلْنَا»، فيقال: لِوُقوع «آمَنَّا» تعريضاً بالكافرين حينَ ورد عقيب ذكرهم، كأنَّه قيل: آمَنَّا ولم نكفر كما كفرتم، ثم قال: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ خصوصاً؛ لم نَتَّكِل على ما أنتم مُكلون عليه من رجالكم وأموالكم؛ قاله الزَّمَخْشَريّ[٥].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: غائِراً ذاهباً في الأرض لا تنالُه الدِّلاء. وكان ماؤُهم من بئرين: بئر زمزم وبئر ميمون[٦].

---

(١) قراءة حمزة في السبعة ص٤٦٥، والتيسير ص٢١٣، وقراءة المسيبي في السبعة ص٤٦٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣.

(٢) السبعة ص٤٦٥، والتيسير ص٢١٣.

(٣) في (ظ): وروى، وفي(ق). ورواية.

(٤) السبعة ص٤٦٥، والتيسير ص٢١٢.

(٥) في الكشاف ٤/ ١٤٠.

(٦) ينظر النكت والعيون ٦/ ٥٧، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٣. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٤: ويشبه أن تكون هاتان عُظْم ماء مكة، وإلا فكانت فيها بئار كثيرة كخم والجفر وغيرهما.

﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ أي: جارٍ؛ قاله قتادةُ والضَّحَّاك[١]. فلا بدَّ لهم من أنْ يقولوا: لا يأتينا به إلَّا الله؛ فقل لهم: لِم تُشركون به من لا يَقْدر على أنْ يأتِيَكم؟ يقال: غارَ الماءُ يَغُور غوراً، أي: نَضَب. والغَوْر: الغائر؛ وُصِف بالمصدر للمبالغة؛ كما تقول: رجلٌ عَدْلٌ ورِضاً[٢]. وقد مضى في سورة الكهف[٣]، ومضى القولُ في المعنى في سورة المؤمنون[٤]. والحمد لله.

وعن ابن عباس: ﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ أي: ظاهرٍ تراهُ العيون؛ فهو مفعول، وقيل: هو من: مَعَن الماءُ، أي: كثُر، فهو على هذا فعيل[٥]. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ المعنى فمن يأتيكم بماء عَذْب؟[٦]. والله أعلم.

---

(١) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ١٣٩ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٧٦ .

(٣) ١٣/ ٢٨٤ .

(٤) ١٥/ ٢٣ - ٢٤ .

(٥) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٧٦ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٣٩ .

openkandl.com